المجلد الاول — الجزء ٤ — السنة الاولى

الفجر

1338

قيمة اشتراكها	اجرة الاعلانات	محل ادارة المجلة
عن سنة ستون فرنكا	يتفق فيها مع الادارة	شارع باب البنات ٤٦ بتونس

تونس - نوفمبر ١٩٢٠ — الموافق صفر ١٣٣٩

مجلة علمية عمرانية اخلاقية تصدر مرة في كل شهر

يحررها نخبة من علية الكتاب

« فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه »

« اولئك الذين هداهم الله و اولئك هم الو الالباب »

« قرآن شريف »

المطبعة التونسية - نهج سوق البلاط ٥٧ - تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

واجباتنا

كل منا اذا نظر في حالة امته نظرة عامة من حيث درجتها من الرقي بعد ان اتصلت بالمدنية الغربية لعهد طويل - يرجع حير ان الفكر مضطرب الفؤاد - هذا ما دعاني لاخط في هذا الموضوع بغاية التاثر كلمتي الاتية : الرقي نوعان مادي و ادبي وكون الثاني اساس الاول مما يدعوني لاختصاصه الان بالنظر - ارتآى بعض المؤرخين ان اركان النهضة العلمية الاخيرة في مصر والشام خمسة : ١ المدارس ٢ والمطابع ٣ والكتب ٤ والجرائد ٥ والجمعيات - فلننظر في حالنا مع كل واحد منها على حدة

(١) المدارس - معلوم ان التعليم ينقسم الى ابتدائي وثانوي وعال - الابتدائي - معاهده عندنا الكتاتيب والمكاتب العربية الفرنسوية والمدارس القرءانية الحرة - والكتاتيب على حالتها الراهنة لا نتيجة ولا قيمة لها فان التلميذ المسكين الذي يقضي بها سنوات عديدة في تعلم الكتابة يخرج وهو خال من جميع انواع التربية والفنون بل

ربما تلقى بها شر الاخلاق واسواها والعجب كل العجب من وجودها في بلد مع المدارس القرءانية. والمكاتب العربية الفرنسوية قلما يتاهل خريجها لتلقي الدروس الثانوية لضيق برنامجها وفساده . وهي مع ذلك لا عناية فيها بلغة الوطن. والمدارس القرءانية حسنة البرنامج من حيث اعتناؤها بالفنون والاداب العربية وبعض العلوم الرياضية على الاسلوب الحديث إلَّا ان الامة لم تقم بواجب معاضدتها وتنشيطها كما يرتجى فاصبحت لا تعطي إلَّا فائدة محدودة

فمن واجبنا (١) اصلاح الكتاتيب باسناد رئاستها لخصوص الاكفاء الذين لهم المام بالفنون والتربية مع جعل برنامج مناسب للتعليم فيها حتى تصبح كانها فروع للمدارس القرءانية حسبما فعل بها المصريون (٢) ومطالبة ادارة المعارف باصلاح نظام التعليم بمكاتبها حتى تنتج نتيجتها وجعل اللغة العربية فيها بمنزلة مساوية للغة الفرنسوية فاننا كما نحتاج لهذه لانها لغة المدنية العصرية والعلم نحتاج لتلك لانها لغة الدين والامة (٣) وبذل مجهودنا من الاعانة للمدارس القرآنية لتؤدي وظيفتها العظيمة فى بث الاخلاق والاداب القومية ونشر اللغة العربية. ويكفي ان نقبل عليها بابنائنا ونحشر اليها ذلك القسم الضائع الان في الكتاتيب فان القرآن الذي هو كل ما يتعلم بها احد ما يحصل عليه التلميذ بتلك المدارس

التعليم الثانوي. يمكننا ان نقول ان التعليم الثانوي مفقود بيننا فان المدرستين الثانويتين الصادقية واللسي كارنو لا تقومان بحاجتنا من التعليم الثانوي البتة. الاولى لاختلال سيرها في السنوات الاخيرة بكيفية محزنة

ولا يلزمنا لادراك ذلك اكثر من مراجعة عدد الناجحين بها سنويا في شهادة الديبلوم على ان هاته الشهادة النهائية لها لا تسمح اصاحبها بتتبع الدروس العالية في الكليات - والثانية لان التعليم بها يستدعي نفقات لا قبل لاكثرنا بها مما جعل عدد ابنائنا بها زهيدا جدا . ولا انكر هنا انه لو ادرك آباؤنا اهمية التعليم وفائدته كما يدركها الاسرائليون منا لجادوا بما يفوق طاقتهم في هذا السبيل ولكان العدد اعظم بكثير من الواقع - على اني لا انسى ان اثني الثناء العاطر على رجل امي من الافاق رايته اخيرا يسعى في نظم ابنه في سلك تلامذة القسم الابتدائي المقيمين بالليسي كارنو ويبذل بسخاء تام ما يستدعيه ذلك من النفقات الطائلة وليس في عائلته من يقرا او يكتب رغما عن كون ابنه سيتعلم بهذا القسم اللغة البربرية المخزية بدل لغته العربية الماجدة ? ويتعلم بعد بالقسم الثانوي لغته العربية كلغة اجنبية وبصورة اختيارية ايضا ?

التعليم العالي - هذا النوع العظيم الذي هو ميزان الامم ومحل تفاضلها اتعس حالا عندنا من النوع السابق فانه اذا وجد ذلك النوع بالليسي كارنو والصادقية لا يوجد هذا النوع ولو بمحلات الاساتذة الخصوصية على ان من قانون الصادقية الاصلي « ارسال طائفة من نبغاء متخرجيها سنويا الى كليات اروبا لتلقي العلوم العالية » إلّا ان هذا ابطل وخسرنا من جراء ابطاله جمهورا من الاساتذة الوطنيين نحن في اشد الحاجة اليهم والله يعلم الى اي سبيل حول المال المخصص لهذا الموضوع الجليل - ولم يبق إلّا السفر على النفقة الشخصية وقليل ما يستطيعه فلا غرو ان ندر بيننا من يحمل شهادة عليا

كان من المفروض علينا تلقاء تلك الحالة الاسيفة ان نكون الجمعيات ونلقي بين يديها ما تحتاجه من المال كاننا نصرفه في اعظم واجب ديني او ننفقه على تخليص ارواحنا من الموت لتحقيق هذين الغرضين العظيمين : (١) انشاء مدارس ثانوية في اهم جهات الوطن على النمط المصري وما يوافق مصلحتنا يكون التعليم فيها مجانا او للفقراء اي في مقابلة معلوم زهيد لنستقبل بها المتخرجين من المدارس الابتدائية بعد ان نكون قد اصلحناها بما يجعلهم على اتم استعداد لتلقي الدروس الثانوية او انشانا ما يقوم بحاجتنا منها لتعذر قبول رغائبنا في اصلاحها (٢) وتشكيل بعثات الى كليات اوربا الجامعة « ولا اقول انشاء كلية او كليات بـبلادنا فذلك ما لا نزال بعيدين عنه مع غاية الاسف » موزعين على علوم الحياة المشرقة هنالك من الهندسة والطب والحقوق والفلسفة والطبيعة والاقتصاد وغيرها - لا نتوانى عن ذلك حتى نجعل لبلادنا هيئة عظيمة من الاساتذة والاخصائيين ونتهيا لتاسيس كلية جامعة تغنينا عن تشكيل البعثات وتحمل النفقات

ذلك مما يدعونا اليه واجب اعتمادنا على انفسنا وعملنا لمستقبل وطننا وابنـائنا فلنتفهمه بترو تام ليدفعنا الشعور باهميته الى السعي وراءه

وقد ادرك المصريون تلك الحقيقة الجليلة من زمان بعيد فلم يبخلوا بالبذل في سبيل التعليم وتشييد معاهده معتمدين على انفسهم وقوتهم الشخصية تاركين الامـاني الباطلة والاحلام الكاذبة التي هي شان العجز الخاملين وراء اظهرهم حتى اصبحوا مثال الرقي بين سـائر الامم

الشرقية الاسلامية بما انتشر بينهم من الفنون و الاداب فقد رايت اخيرا ببعض جرائدهم الغراء اثناء حكاية تشكيهم من عدم اهتمام الحكومة بالتعليم « انه لولا تعليم الامة لابنائها لاصبح الجهل ضاربا اطنابه بينهم فانه بينما تعلم الحكومة بمدارسها نحو ٣١ الف تلميذ تعلم الامة في مدارسها الحرة نحو نصف مليون » فلو جارينا المصريين في تعليم ابنائنا باعتبار نسبة التلاميذ الى عدد السكان لكان بمدارسنا الحرة نحو ٦٥ الف تلميذ عدا من يتعلم بالخارج على جيوبنا فهل لا نستحيي ان نرى عددهم بتلك المدارس لا يبلغ الالفين في القطر كله

(٢) المطابع — لا شك ان من اهم وسائل نشر المعارف و الاداب الطباعة حتى عد العلماء اختراع المطبعة من اوائل القرن الخامس عشر فاتحة عصر جديد للعلم و المدنية - فهل تلك الوسيلة متوفرة لدينا ؟ كلا. فانه ليس لنا إلّا ثلاث مطابع عربية : الرسمية ولا تشتغل باكثر من مطبوعات الحكومة غالبا - والتونسية ومعظم خدمتها في المطبوعات الادارية - فلم يبق إلّا المطبعة الاهلية وهي لا تفي بحاجة قرية ناهضة فكيف بحاجة شعب يناهز المليونين - ومن العار المخجل ان توجد بصفاقس مطبعة فرنسوية ولا يكون للاهالي مطبعة عربية حتى يضطر صحافيهم لطبع صحيفته الصفاقسية بالعاصمة وكذا وقع لصحيفة القيروان

من هنا كنا ولا نزال عالة على الشرق في كتبنا الدراسية وغيرها بل ان بعض مواطنينا طبع هنالك ما تعلقت همته بنشره - ومرت بنا فترة اثناء الحرب الاخيرة انقطعت فيها واردات الشرق فكنا نتذمر من

فقد النافد وغلاء الموجود - ولما قطعت الصحافة العربية عقبة الحجر في مارس السالف وجدت امامها عقبة الطبع فلم تبرز جرائد قرر تاسيسها وتاخرت اخرى عن ميعاد البروز - ولولا المطبعة الاهلية ما اشرقت علينا شمس الصواب ولا الوزير ولا المنير وكنا نندب حظنا من المطابع بدل ان نندبه من الحرية الصحافية

نعم قد تاسست اليوم بهمة بعض الوطنيين الحازمين مطبعة كبرى تحت اسم النهضة ومرادها ان تصدر صحيفة يومية عربية عظمى وتتوسع في الطبع باللغتين العربية والفرنسوية - وستكون فائدتها الوطنية بقدر اقبالنا على اشتراء اسهمها

ان هذه الوسيلة العلمية لا يكلفنا انشاؤها بذلا خيريا كما قد يكلفنا غيرها من بقية الوسائل فمن العجب ان لا نقبل على انشاء الشركات فيها انشاءنا لها في غيرها فنستفيد ماليا وعلميا حيث نباشر بها طبع ما نحتاجه من الكتب القومية والاجنبية

(٣) الكتب — ننظر فيها من جهتين : ما يدور منها بيننا مما جاد به علينا الشرق او الغرب وما الفه علماونا في العهد الاخير

لا شك ان ما هو معروف رايج بيننا من المؤلفات الشرقية والغربية قليل جدا بالنسبة لما لا نعرفه منها وذلك يرجع الى ثلاثة اسباب اصلية (١) عدم انتشار العلم ههنا بكيفية جعلت كثيرا من الكتب غريبا عندنا من حيث موضوعه او اسلوبه (٢) وضعف الهمة العلمية من المتعلمين بما يجعلهم يهدرون اوقاتهم النفيسة في اللهو او مطالعة ما لا يفيد ويبخلون بالقليل من المال في سبيل اقتنائها - اعرف رجلا

يحسن اللغتين اذا حن الى المطالعة اشترى رواية صغيرة ساقطة مما يضعه المضحكون وصبيان المكاتب بعشرين او ثلاثين صانتيما

(٣) وعدم وجود مكاتب عمومية تحشر اليها الكتب التي تظهر يوما فيوما فانه ليس لنا إلّا مكتبتان بالعاصمة : المكتبة العبدلية وهي خالية تقريبا من المؤلفات الحديثة واكثر ما بها كتب خطية عتيقة لا يبلغ عددها ٤٠٠٠ مجلد - وليس لها شيء من الميزانية العامة او غيرها لاشتراء الكتب لها سنويا بينما للمكتبة الخديوية فقط بمصر ٢٥ الف جنيه سنوية لذلك الغرض

والمكتبة الخلدونية وبها طائفة قليلة من المؤلفات العصرية والمجلات الشرقية وقد كانت آخذة في النمو والاتساع على عهد زهو الجمعية الخلدونية ومنذ اخذت هذه في التدهور والاضمحلال لسوء الحظ وقفت حركة نموها بل ربما تلاشى بعض كتبها في السنوات الاخيرة.

اما باقي مدن القطر فليس بواحدة منها مكتبة او شبهها ولو صفاقس والقيروان رغم ان بلدة حمام الانف بها مكتبة فرنسوية عمومية مفتوحة حتى في زمن الصيف

فلماذا لا نعتني باقامة هذه الوسيلة العظيمة لنشر العلم وهي من اهون الامور علينا لا سيما انه يمكننا الحصول على اماكن لها في سائر الجهات من جمعية الاوقاف

افلا نخجل اذا سمعنا ان المرحوم محمد فريد بك رئيس الحزب الوطني بمصر تبرع بمكتبة على نادي المدارس العليا تحوي نحو ٤٠٠٠ مجلد بينما لا نسمع بواحد منا تبرع على احدى المكتبتين بمجلد واحد

إلّا نادرا - او سمعنا ان رجلا من اسكوتلاندا اسمه اندري كرنجي خصص مليون جنية لانشاء ٦٥ مكتبة عمومية بنيويورك على ان يصرف ذلك في خصوص اثمان الكتب و ادواتها كما خصص ٥ ملائين جنية لانشاء كلية عظمى بيستبورج وثروته لا تزيد على خمسين مليون جنية ونحن لا نرى واحدا من اغنيائنا يعني بانشاء مكتبة واحدة

قد آن لنا ان نفقه مركزنا من المجتمع البشري العظيم ونخلع عنا رداء الخمول والتواكل ونستبدل الانفاق على الخرق والقبور واللهو والفجور بالتبرع على تنشيط العلم والرحمة بالانسانية - واليكم هذين المثالين العظيمين من اعمال الامم المتمدنة - ١ - توفى الدكتور نوبل بيسكويت عن ثروة طائلة اوصى بها لمن يات بانفع عمل للجنس البشري ووزعها كما ترى - اهم اكتشاف او اختراع في ميدان العلوم الطبيعية - اهم اكتشاف او تحسين في علم الكيميا - اهم اكتشاف في الطب - اعظم مؤلف ادبي تصوري

(٢) - وانشا يوسف فردي الموسيقي الايطالي الشهير (١٩٠١) مستشفى بفيلانوفا و اوصى له بعشرين الف فرنك سنويا وبمثلها لملجا الاطفال و ٣٠ الفا لملجا اصحاب العاهات وانشا ملجا قرب ميلان للموسيقيين المعوزين الذين يتجاوز سنهم ٦٥ سنه وهو يسع ستين رجلا واربعين امراة

اما مؤلفاتنا فقليلة حقيرة كاننا لم نتاهل للتاليف في شيء - يموت العالم منا فيكتب في ترجمته انه ترك كذا وكذا من المؤلفات ثم لا

نرى لها اثرا بعد ذلك إلّا تبجح ذويه بها و كان الزمان الذي لا يحيي معه إلّا الصحيح قضى عليها بالموت الابدي و اراحنا من سخافاتها ومن المحقق ان اكثرها تعاليق وحواش بعضها غير تام والناس ينسبون عدم تمثيلها للطبع و نشرها بين الناس الى خوف اصحابها من انتقادها وهذا من الخور الذي انزههم عنه فان الانتقاد ينتاب سائر التآليف بل المهم منها وهو السبيل الحق لتحريرها و اظهار مزيتها حتى ان علماء الغرب يعدون من علامات سقوط التآليف عدم اهتمام الكتاب بنقده

ان الشرقيين مشوا اشوطا بعيدا في الاخذ باسباب الرقي و المدنية يجعلهم اهلا لان نقتفي اثرهم ونتتبع خطاهم - وعلماء العربية منهم اذا راموا التاليف تخيروا لهم موضوعا على حسب استعدادهم العلمي والفطري وخاضوا ما تلمسه ايديهم من المؤلفات فيه ثم جاءوا لنا بما شاء الذوق والتحرير والحسن في الادب او اللغة او الاخلاق او التاريخ او الحساب او غيرها (وذلك ما جعل الاروبيين يهتمون بنقل كثير منها الى لغاتهم) وان حشوا كانت حواشيهم غالبا فصلا في المقام المحتاج اليها - ورجال اللغات الاجنبية منهم يقومون بترجمة الكتب الى لغتهم في الفنون و الاداب على اختلافها كما كان يفعل امثالهم على عهد الرشيد و المامون عند ما اراد المسلمون نقل المدنية اليونانية والفارسية وغيرهما الى لغتهم - فما بال المتضلعين منا باللغتين لا يقومون بتلك الخدمة الجليلة لمنفعة ابنائهم و اخوانهم ولو في مقدار وجيز من وقتهم فان الوطني الصادق لا يبالي بالفوائد الشخصية في تادية

واجبه المقدس على اننا اذا احسنا اختيار الكتب التي نترجمها لم يقتصر انتشارها على المملكة التونسية

(٤) الجرائد - مكثنا نحو ثمان سنوات لا نذكرها اليوم إلّا بالسوء واللعنة وبالعالم نيف واربعون الف صحيفة لنا منها واحدة - ولما تحصلنا على حق ظهور صحافتنا على مرسح الوجود راينا اننا تحصلنا على شيء عظيم طالما تالمنا لفراقه وتطلعنا لاشراقه يجب علينا ان نخدمه باقبالنا واموالنا ونحتفظ على حياته بكل قوانا لان الصحف افضل الوسائل المساعدة على حفظ اللغة ونشرها وخير ذريعه لتوثيق عرى الالفة بين الناطقين بالضاد والمترجم الصادق عن احساس الامة ورغائبها وقد راينا بحمد الله شيئا مهما من ذلك الاقبال إلّا اننا راينا ضعفاء الاحساس ياتيهم مثل الصواب والوزير والمنير فيردونها على ادارة البريد ذاكرين اذا انتقدتهم اعذارا واهية واوهاما سخيفة ولو تدبروا قليلا لعلموا انهم يخدمون بمعلوم اشتراكهم الزهيد لغتهم ووطنهم وقوميتهم وابنائهم وان تلك الصحيفة لم تحض بايديهم الكريمة إلّا بعد تكبد وطنيهم المخلص لمر الاتعاب وثقيل النفقات ولا يقنوا ان لا سبيل لذلك الرد الشنيع. وهناك من يؤلم عملهم اكثر من هؤلاء وهم اناس يقبلون الجرائد على عزم ان لا يخلصوا في معلوم الاشتراك ابدا

فهل مع هذا يمكننا ان نطالب صحافيينا بتوسيع نطاق صحفهم بطرق المواضيع الهامة التي تحوجهم الى الوقت والتنقيب او ترجمة الفصول

العظيمة او نشر اكثر ما يمكن من الاخبار العمومية او تصييرها يومية او نصف اسبوعية من كل ما يستدعي نفقات طائلة

ومع ذلك كله لا نعد انفسنا قد استكملنا تلك الوسيلة العظيمة حتى نستوفي لها هذين الشرطين : حريتها امام الادارة العامة إلّا فيما يؤاخذها عليه قانونها العادل ووجود عدد منها بقدر حاجة البلاد يصدر يوميا على نمط الاهرام ووادي النيل والاخبار بمصر

(٥) الجمعيات — تؤلف الجمعيات في اوروبا بكثرة عظيمة لاغراض مختلفة بين علمية وخيرية وسياسية وغيرها - وهي من امارات رقي الامم وحضارتها - وفائدتها خدمة الغرض من تاسيسها على اكمل وجه لان الاعمال العظيمة لا يحسنها الفرد كما تحسنها الجماعة مهما كانت مواهبه الطبيعية ودرجته العلمية

واهم ما عندنا منها ثلاث : الجمعية الخيرية وهي تعلم وتعول بمدرستيها عددا مهما من فقراء ابنائنا فتاهلهم لتتبع الدروس الثانوية بجامع الزيتونة بما يجعلها احسن مدرسة وطنية حرة وقد اعلنت اخيرا انها مزمعة على تاسيس ملجا لتربية وتعليم الاطفال المتشردين وهذا من اعظم الخدمات التي يشكرها الوطن وتحمدها الانسانية - ولو بذلنا لهذه الجمعية كما يدعونا الواجب والحاجة ما وقفت عند ذلك الحد ولاملنا لها ان تجاري جمعية العروة الوثقى بمصر التي تقوم على نحو ٢٥ مدرسة مختلفة . ولتلك الجمعية نظائر اقل منها اهمية ببعض مدن المملكة وكان الواجب ان تعم المدن والقرى

والجمعية الخلدونية - وهي تدرس بمدرستها الفنون الرياضية

والانشاء واللغة الفرنسوية بصورة ابتدائية وقد انبتت على عهد فقيد الوطن المرحوم محمد البشير صفر نابتة تمثل النبوغ والنشاط وحسن الشعور وكان الاقبال عليها بالتعلم او الاشتراك عظيما بما كان يلقيه رحمه الله من النصح والهدى في دروسه التاريخية ويعده لتلامذتها من النتائج الحياتية ومنذ اضطر لفراقها لسوء الحظ اخذت ترجع القهقري في جميع شؤونها بكيفية محزنة مبكية اذ امتنع كثير من قدماء تلامذتها اصلح الله حالنا وحالهم من الاستمرار على اشتراكه ودخلت المحاباة الممقوتة في انتخاب اعضاء ادارتها لا سيما الانتخاب الاخير فدخلها غير الاكفاء (نكبة المشاريع العامة) وصارت ميتة وهي حية ولولا ٦٠٠٠ فرنك سنوية من جمعية الاوقاف لقبرت منذ عهد بعيد فانه لم يبق من مشتركيها إلّا نحو سبعين

ما احرى هذه الجمعية الجدية المفيدة ان تنال عنايتنا والتفاتنا لتسترجع عصرها الزاهر وتؤدي وظيفتها المقدسة بين من حرموا من فنونها بالمدارس الاخرى وتصبح مدرسة ثانوية عظمى على شدة حاجتنا الى مثلها

وجمعية قدماء الصادقية وقد كانت في عهدها الاول اي منذ ما ينيف على عشر سنوات تهتم بالقاء المسامرات في التاريخ والادب والاجتماع ثم انحلت ماسوفا عليها ولئن لم تترك آثارا مهمة فقد علمتنا تلك الطريقة الجميلة في خدمة العلم واللغة اذ لا عهد لنا بها من قبل فيما اظن ويصح ان تكون مسامراتها اذ ذاك احسن مثال نحتذيه - وقد تجددت اليوم واحيت سنة المسامرات واصدرت مجلة حافلة بالمواضيع

المفيدة ووضعت برنامجا من احسن ما فيه انها تريد تعليم فقراء الوطن بكليات اروبا على حسب ما تسمح به ماليتها ولا اخال شيئا اعظم فائدة لامتنا المحبوبة من هذا فان كثيرا من القرايح النادرة والاستعدادات الكبيرة تذهب ضحية العجز والاهمال فتخسرها الامة والعلم فليكن حضها من اهتمامنا بقدر اهمية ذلك المشروع الذي تقوم عليه وقد باشرته فعلا مع اثنين من نجبائنا

النتيجة - اننا لم نخط إلّا خطى ضيقة نحو تحقيق تلك الاركان الخمسة للنهضة وان الشيء الوحيد الذي تندبه ويتوقف عليه كامل مستقبلنا هو «فهم كل واحد منا واجباته بصفته فردا من الامة» بحيث يتحتم عليه ان يعلم ان لتلك الواجبات قسطا من استعداده وماله ووقته اي كل قواه «ونهوضه لاداء تلك الواجبات بمنتهى الاخلاص»

وذلك شيء لا نتحصل عليه إلّا بهاتين الوسيلين العظيمتين : التربية الصحيحة - والتعليم العام - فلننشر اذا دعوة التربية والتعليم ولنجر وراء وسائلهما الخمسة بملء خطانا - وكل سعادة تاتي نتيجة طبيعية لهما ولا شك اننا لا نقدر ان نخدم تلك الوسائل خدمة منتجة إلّا اذا احرزنا حرية الصحافة والاجتماع والتعليم والخطابة وهي لا يضمنها إلّا الدستور الذي يحرسه نواب الامة المنتخبون منها

تلك مواضيع طويلة اجملناها اجمالا وعسى ان نتمكن من افراد كل واحد منها بمقال خاص ويسرنا جدا ان نرى الصحافيين والكتاب يخوضونها بالبحث والارشاد فانها منا بمنزلة الماء من الحياة والله الهادي الى سبيل الرشاد

الحياة الزوجية

٢

اختيار المراة لمالها :

ان من يختار المراة زوجا له لحسنها وجمالها يختارها لصفات فيها وانما كان مخطئا لانه عنى بصفات الجسد التي يسرع اليها التغيير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما تراد له الزوجة ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السعادة والهناء . او مجلبة التعاسة والشقاء . واما من يختار المراة لانها ذات مال وثروة فهو انما يختارها لامر خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وانما مطلوبه المال يتمتع به وهي عنده وسيلة له فاذا نزلت بالمال جائحة او اغتالته غائلة صارت المراة عنده كالشيء اللقا لا قيمة لها ولا حاجة اليها وما عساها تصادفه مع وجود المال من الحظوة والكرامة فاجدر به ان يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء ان يرائي بعضهما بعضا ويدهن احدهما للاخر . وهذا شان من يطلب المال عفوا بغير عمل لا يكون إلّا مرائيا مداهنا

يعيش المنافق مع الناس الذين يدهن لهم في اضطراب دائم لانه يشعر في نفسه بانه يعيش مع خصماء واعداء فاذا لم يكن له من يخلص هو لهم ويخلصون له كان شقاءه دائما واضطرابه مستمرا . ومن احق بهذا الاخلاص من الزوجين الذين خلقا ليسكن كل منهما الى الاخر ويلابسه في جميع شئونه لباسا يتحد به معه حتى يكونا كشخص

واحد ! ! ارايت اذا انعكس الامر فكانت الزوجية التي هي علة السكون والارتياح . ومبعث الحب والاخلاص . وسبب المودة والرحمة . علة للاضطراب والانكماش . ومثارا للرياء والدهان . ـ ارايت اذا صارت الغاية التي يقصد لاجلها الكسب . وسيلة للرزق وطريقة للربح . يلجا اليها الكسالى المترفون . ويرغب فيها اهل الشره الطامعون . ـ ارايت اذا وصل الناس الى هذا الحد في فساد الفطرة . والخروج عن محيط الشرعة . ايكون المال الذي يعبدون كافيا لتحقيق سعادتهم . وحفظ شرف بيوتهم وامتهم . ؟ كلا ان هؤلاء لا حظ لهم في الحياة إلَّا التوغل في اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا يبالي واحدهم بشرف البيت ولا بعزة الامة يخربون بيوتهم بايديهم . ويبلسون امتهم بسوء مساعيهم . بل هم الات التفريق والتحليل لان كل واحد منهم يهتم بلذة نفسه . ويجتهد في ان لا يتصل بغيره . وكيف يمكن ان يتحد بمجموع قومه . من انكمشت نفسه دون الاتحاد بزوجه . على ما لاتحاد الزوجين من العلل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية ؟

يكثر طلب المراة الغنية لهذا العهد في الطبقة المتعلمة على الطريقة العصرية فلا تكاد ترى بين شبان هذه الطبقة إلَّا الباحثين عن البنات الوارثات او اللواتي ينتظر ان يرثن مالا كثيرا وارضا واسعة ودورا عامرة . ولا تكاد تسمع منهم عند ذكر الزواج إلَّا قولهم انني اطلب فتاة تملك دارا وكذا فدانا من الطين . وهذا دليل على ان التعليم الذي تعلموه ما كان إلَّا ضارا بهم بما افسد من فطرتهم . ويا شقاء من تتزوج

بواحد منهم . فانما يكون حظها منه ان يستعين بمالها . على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها . وويل لها ان سكتت موافقة . والف ويل لها ان نطقت مخالفة

لو ذهبنا لعد مفاسد هؤلاء المخذولين في اختيارهم هذا وآثاره خرج بنا القول عن حد المقالة المنبهة . ودخل في ابواب الكتب المطولة . وكفى بما ذكرناه منبها للغافل وسائقا للنظر العقلي في ذلك وللبحث في حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين

وقد يشتبه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها او استحسان صورتها فيظن ان ما قلناه غير صحيح . ونحن لا نجهل ان مثل هذا قد يقع فيكون على حد المثل « رمية من غير رام » والسبب في مثله ان يكون بين هذين الزوجين مشاكلة في الطباع وتناسب في الاخلاق وتقارب في العادات من حيث لا يدري بذلك احد منهما قبل الاقتران . ولكن هذا قليل لا سيما في طلاب المال وعباده الذين يرضون ان تكون الزوجية وسيلة له لان من بلغ منه فساد الفطرة هذا المبلغ قلما يهنأ لاحد معه عيش كما قلنا آنفا

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب ان يلاحظ في المرأة الصفات التي يرجى ان يتحقق بها مضمون قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله عز وجل « ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين » وقوله جل ثناؤه « محصنين غير

مسافحين » وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها ما لا بد منه في كل امراة ومنها ما يختلف باختلاف احوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض

اما الصفات الجسدية فمما لا خلاف فى اشتراطه منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والعاهات المنفرة ولا حاجة لتعليل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فانه من المعلوم بالبداهة ان النفس لا تسكن الى ذوي العاهات والادواء بل تضطرب وتنزعج منهم . وان المراة المريضة لا تحصن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه . واما ما تختلف فيه الاذواق فهو ما وراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسنا بارعا وجمالا رائعا . والميل الى الحسن والجمال غريزي في البشر وهو مما تختلف فيه الاذواق والمشارب « وللناس فيما يعشقون مذاهب » ولا نعرف شعبا من الناس يشترط رجاله الجمال البارع في الزوج وانما يعدونه من الاوصاف الكمالية إلّا من ذكرنا في النبذة الاولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلا مع الهوى لا اتباعا للمصلحة . ولا اقامة لسنة الفطرة)

قد يكون من المصلحة للاكثرين تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لما ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يعذر من يمقت في المراة صفة من الصفات اذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يمقت البحترة او البهصلة او الرسحاء او النقواء . وقد تكون هذه الاوصاف من المنفرات لبعض الناس على ان لكل ساقطة لاقطة وانما يتخير الجمال البارع او

ما دون البارع من يكون موضعا لتسابق رغبات النساء و اهليهن اليه لمكانته وجاهه او لثروته وماله . فان من طبيعة التفاضل ان يكون فيما تصل اليد اليه و يسهل الاستيلاء عليه

و اما الصفات النفسية فهي الاخلاق و الملكات والعلم او العلوم فاما الاخلاق فانها علة لسعادة الحياة او شقائها في جميع طبقات الناس على الجملة و افضل اخلاق النساء العفة والصيانة لان معنى الزوجية لا يتحقق بالاختصاص و انما تكون المراة مختصة ببعلها اذا كانت عفيفة . ثم ان الحكمة في الزوجية هي الانتاج و النسل الذي يحفظ به النوع و يكثر به سواد الامة و تعظم قوتها و اختلاف الرجال على امراة واحدة من اسباب قلة النسل فما هتك حجاب العفة في امة إلّا وقل نسلها بمقدار شيوع الفاحشة فيها و ناهيك بما في اختلاط الانساب من المفاسد . لا يوجد عيب من العيوب في الخلقة او الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها . ويمحو آيات منافعها وحكمتها . كخيانة المراة للرجل في نفسها . ويغنينا عن الاسهاب في بيان ذلك ما هو ثابت في الغرائز ومعروف بالاختبار . وقد من الشاعر العربي على اولاده بتخير والدتهم من ذوات العفة قال :

فاول احساني اليكم تخيري * لماجدة الاعراق باد عفافها)

ومن غريب اكبار الرجال لعفة نسائهم انك تجد الفاسقين من اشد الناس غيرة لان علمهم بفساد النساء يزيد في حذرهم على نسائهم ان يكن كمن يعرفون من غيرهن و هذا من اسباب قلة الزواج في البلاد التي يكثر فيها الزنا لان اكثر الرجال يخافون ان يبتلوا بمن لا عفة لهن .

واغرب منه ما اشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص ببعض البغايا يحب الرجل بغيا توهمه ان له عندها من الحظوة ما ليس لغيره فيبذل لها المال الجم الكثير ليغنيها به عما تكسب من سواه . وتكون خاصة به دون من عداه . ومتى كانت البغي ترعى العهد . وتصفي الود ؟؟ ولكنه جنون الرجال بالاختصاص والغيرة يخرج بهم عن محيط العقل والتجارب وكم ادى ذلك الى دماء تسفك . وارواح تزهق

ومن الاخلاق التي لا يتم لاحد هناء العيش مع فقدها الامانة والحرص والاقتصاد فاذا لم تكن المراة امينة على ما يعهد اليهـا حفظه حريصة على ما بين يديها من مال الرجل وكسبه مقتصدة فيما تنفق تسوء حال البيت ويقع فيه الشقاق ويحيط به الشقاء)

واما الصفات والملكات . التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الاشخاص والطبقات . فاهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية . النظام وتدبير شؤون البيت واذا كانت بيوت الشعر في الصحاري وشعاف الجبـال واكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين في المزارع والقرى ليس فيهـا من الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال ما تعوز في ادارته وتدبيره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والعادة والقدوة . فان في دور الطبقات العالية والمتوسطة من المتعلمين وكذا غير المتعلمين ما لا يتم نظامه إلّا اذا كانت ربة الدار مدربة على النظام والتدبير . نعم ان غير المتعلمين لا يؤلمهم من فقد النظام في بيوتهم ما يؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وفوائده وتربوا عليه او حملهم العلم بفائدته على طلبه والاستقامة على طريقته . يبلغ حب النظام ببعض العارفين مبلغا لا يهنأ له عيش ما

دام يرى في داره شيئا من الخلل الذي لا يشعر غير العارفين معرفته بكونه خللا يطلب اصلاحه. كـكون حجرة النوم قليلة الاثاث تعرض فرشها وحشايا سريرها للشمس والهواء كل يوم وككون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا. ومن المتعلمين من يرى من ضروريات الحياة ان تكون نفقات البيت كلها في يد ربته وان يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فاذا لم تكن امراته قادرة على ذلك فان نفسه لا تسكن اليها ولا تكون هي قرة عين له. ولا تقل ان هذا يدخل في صفة العلم الذي ينبغي ان تكون عليه المراة فان العلم لا يكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من يتعلم علما يقدر على العمل به وانما يقدر عليه من يقرن العلم بالعمل والمزاولة. كثر في الترك عدد الرجال الذين يريدون ان تكون المراة قهرمانة وريحانة معا وفي نسائهم (لا سيما الاستانة) عدد غير قليل قد ربين على ما يحب الرجال. وجميع المتعلمين من النصارى وكثير من المسلمين في سوريا ومصر على هذا الراي ايضا ولكن عدد المسلمات المتعلمات المتربيات على هذه الطريقة قليل جدا في القطرين ولذلك صار الزواج يقل في المتعلمين رويدا واذا ارتقى التعليم والتهذيب عما هو عليه الان في الرجال فان هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن اكثر المتعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المراة ريحانه يتمتع بها ما صلحت للتمتع كالزهرة تشم ويعتنى بها ما دامت غضة ذكية فاذا ذبلت القيت. ولا رغبة لهم وراء هذا إلّا بان تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبته فهي عندهم من جملة المتاع لا فرق بينها وبين ما يحصل

معها الى دار الزوج من الاثاث و الماعون إلّا كما يفضل اناء اناء آخر من جنسه او نوعه ولو كثر عدد الفتيان المهذبين لتبعه كثرة الفتيات المهذبات لانه متى عرف و اشتهر ان جماهير الشبان المحترمين لا يرغبون في غير المهذبة القادرة على ادارة المنزل و اقامة النظام فيه بادر الناس الى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لان الفتيات يطابن الفتيان دائما بلسان الحال و الاستعداد فكل ما يشكو منه بعض الشبان المهذبين من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين في الجمهور ٠
و ان لي كلمة قلتها ثم علمت ان للاوربيين كلمة تخالفها فاذكرهما هنا اما كلمتهم فهي « كما يريد النساء يكون الرجال » و اما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل على هذا ان النساء لا استقلال لهن في انفسهن و انما هن تبع للرجال عند جميع الامم٠ يولد للزوجين غلام وجارية فيربيان الغلام على ان يكون رجلا مستقلا ببيت كبيتهما وعلى ان ينهض بكفالتهما عند الكبر او العجز اذا كانا فقيرين٠ ويربيان الجارية على ان تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيعولها و يكفلها فيكتفيان امرها٠ ينشا في الغلام من اول سن الادراك شعور الاستقلال بنفسه وحاجة غيره اليه ٠ وينشأ في الجارية شعور القصور و الحاجة الى كفالة رجل غريب مجهول ستكون تابعة له ٠ ومن التقاليد العامة في امتنا وفى غيرها ان هم النساء الاكبر هو ان يكن بحيث يحبهن الرجال ويرغبون فيهن لانهن في حاجة الى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم إلّا بلسان الاستعداد وكونهن كما يحبون ويرغبون كما قلنا آنفا٠ ثم ان الوالدين اللذين يربيان الغلام و الجارية يعلمان ان تزويج الجارية

اعسر عليهما من ترويج الغلام من حيث انه لا عار عليهما ولا عليه في التماس امراة بالطلب والبحث ولو ممن هم دونهم وانه من العار العظيم ان يبحثا على زوج لبنتهما ويعرضاها على الرجال وان كانوا من الاكفاء . واشد من ذلك عارا ان تبحث هي عن الزوج وتعرض نفسها على من تظن انه يرضاها . وان الشرف والمصلحة محصوران في تعريضها للخاطبين بتربيتها على ما يحب الاكفاء ويرضون . نعم ان الاوربيين قد حاولوا تربية النساء على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات رايا في اختيار الازواج ولكنهم لم يخرجوا عن جعل المراة تابعة للرجل ولم يقدروا على جعل اكثر النساء مستقلات في معيشتهن غنيات عن الرجال بل هم الذين يربون بناتهم على ما يرغب فيه جمهور فتيانهم ويخطبون الزوج بالحال وبالمال جميعا ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر بمثله من لم يبلغوا شاؤهم في الحياة الاجتماعية وللجارية المخطوبة عندهم مقام رفيع ولربة البيت مكانة عالية ولام الاولاد المقام الاعلى وانما قالوا كلمتهم تلك للترغيب في تعليم المراة اذ لا يقدر الرجل على اتقان الرتبة إلّا باسعاد النساء لهم عليها ثم ان هذه التربية الاستقلالية قد اضرت بالنساء انفسهن حتى كثرت اصوات الكاتبات منهن بالشكوى منها

(الدين والاخلاق)

ملاك تهذيب الاخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية دينية صحيحة لتم لهن تهذيب الاخلاق . وكن مصدرا لمحاسن الاعمال وقرة اعين للرجال .) وقد عرفت الامم الحية ذلك فعنيت بتربية البنات

على آداب الدين واخلاقه واعماله على فساد عقائد الكثيرين من علمائها وحكمائها . ذلك بان هؤلاء الذين راو في دينهم ما لا ينطبق على عملهم القطعي فتركوا الدين للعلم يعتقدون ان الدين هو روح التهذيب والاداب في البشر وان هذا الروح هو الاصل في الحياة الزوجية والحياة القومية لاسيما في النساء والناشئين فاذا هو زال تعذر الاستغناء عنه او استبدال غيره به كالشرف والعلم بالمصلحة . والذين جروا على هذه الطريقة من نصارى الشرق يتحامون الانتقاد على الدين في حضرة النساء وان كانوا لا يعتقدون ولا يؤمنون لئلا يتسرب الشك والارتياب الى نفوس النساء . بل اخبرني بعض علمائهم وادبائهم المشهورين انهم يكونون في النادي او السامر ينتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل احدى النساء فيحولون الحديث لكيلا تسمع انتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف الشعور في قلبها . ولا تجد جزءا من هذه العناية عند المسلمين الذين جهلوا الدين فاهملوه . بل ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم . وكل ما عند النساء المسلمات من الدين فهو من تقليد الذين نشأن فيهم وتربين بينهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل ويا ليت فساق قومنا وزنادقتهم يكتفون باهمال تربية النساء على آداب الدين وتعليمهن احكامه ولا يظهرون لهن ماهم عليه من الفساد والالحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين ان كثيرا من المسلمين (الجغرافيين) (*) يجتمعون مع

(*) نعبر على المسلمين الذين ليسوا على شيء من الاسلام بالمسلمين الجغرافيين لان الاحصاء الذي يذكر في كتب الجغرافية يعدهم منهم

عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر في شهر رمضان وان منهم من يتزوج بالمراة فيكرهها على شرب الخمر معه واخبرني شيخ من اهل القاهرة ان رجلا تزوج ببنت من اقاربه (اي اقارب الشيخ) فدعاها الى شرب الخمر معه فأبت ولما اعياه الزامها طلقها . واغرب من هذا ما يتحدثون به عن بعض اصحاب البيوت او البيوتات من اشراك البنات مع الرجال في معاقرة الخمر ومن احضار اهل الرقص والعزف من الرجال والنساء الى البيوت واجتماعهم في بعض الحجرات على المعاقرة والمخاصرة والنساء يسمعن وينظرن من وراء السجوف والاستار

يظن الكثيرون من فساق البلاد المشرقية ان الدين في اوروبا قد صار نسيا منسيا وان ذلك لم يزد امها إلّا ارتقاء لانه اثر الارتقاء وذلك ان هؤلاء لا تتوجه نفوسهم ولا يهديهم استعدادهم إلّا لمعرفة امثالهم والصواب ان اكثر اهل اوروبا متدينون وانما ابطلوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لانها ليست إلّا من وضع الرؤساء وهم مع ذلك اشد الناس تعصبا لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة الفسق في بلادهم لاسيما التي تغلب فيهم الكاثوليكية كفرنسا وايطاليا فان من الاسباب في ذلك المذهب الذي يعد من اصوله ان القسوس والرؤساء يغفرون الذنوب كما ان من اسبابه اباحة الخمر ام الخبائث . ولقد يسهل على الفاسق ان يجد كثيرا من الفاسقين والفاسقات في كل المدن العظيمة في الارض حتى ما كان فيها الفسق منكرا وممنوعا اظهاره لا يراه إلّا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء

مما لا يخلو العمران منه وجده فاذا هو قصر همه عليه . ظن ان كل الناس او جلهم على مذهبه فيه

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

اهل فرنسا اقل الاوربيين تمسكا بالدين لتطرفهم في الحرية والجمهورية التي يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطرا عليها . ولذلك قاوموا جمعيات القسيسين ومدارسهم . وقد سالت فرنسيا عن تدين قومه فقال اكثرنا متدين يحب الله ولكن لا نحب الكنيسة

اذا فرضنا ان تعميم التعليم والتربية على حب الوطن والاداب القومية قد يغني عن الدين في اصلاح حال البيوت والجمعيات . فاوربا هي التي يمكنها ان تستغني عنه بذلك ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به . ولا ادري بماذا يستغنى المسلمون عن آدابهم الدينية التي امسوا لا يالون بها . هل الرابطة الوطنية كافية في هذه الامة التي غلب عليها الجهل والامية . ووقع معظم اوطانها في قبضة الدول الاجنبية لان تصلح ما افسد الزمان فيها من الاداب الشخصية والروابط الزوجية . ليتكون منها امة عزيزة قوية ؟

(وجملة القول ان الحياة الزوجية في المسلمين لا يمكن ان تكون سعيدة في نفسها ووسيلة لارتقاء الامة وتعزيزها إلّا اذا كان الزوجان معتصمين بحبل الدين مستمسكين بعروته في الاخلاق والاداب والاعمال ليكونا قدوة لاولادهما فى ذلك .) وان الخطر الذي يهدد المسلمين وينذرهم بزوال سلطتهم من الارض لا يزول إلّا بصلاح حال البيوت الادبية على هذا الوجه . (ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « تنكح

المرأة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاضفر بذات الدين تربت يداك » رواه احمد والشيخان واصحاب السنن ما عدا الترمذي عن ابي هريرة) ولكن من لنا من يصلح لنا اخلاقنا وآدابنا الدينية وليس لنا زعماء ولا سراة من اهل الدين والحكمة . واذا ظهر فينا زعيم فاتنا لضعف استعدادنا لا ننتفع به بل يحكم فيه جمهورنا كلام المغرورين الذين يضرهم ويفضحهم ما يدعوا اليه من احياء روح الدين ! !

مجلة المنار الجزء الرابع الصادر بتاريخ ٢١ افريل ١٩٠٥ بتصرف قليل

روسيا وتموين اوروبا [1]

ان خيبة المامورية التي قام بها المبعوثان الروسيان كراسين وكامناف لدى الحكومة الانكليزية ذهبت بالامال التي علقها بعضهم على ربط العلائق الاقتصادية بين الروسيا واوروبا وهي بلا شك آمال وهمية اذا كانت مرتكزة على الظن بان في امكان الروسيا ان تمد اوروبا في الوقت الحاضر بصادرات معتبرة اللهم إلَّا اذا قلنا ان العلائق الاقتصادية الخارجية من شانها ان تعجل بحل عصبة البلشفيك ولكن الاحسن هو أن نتوقع سقوط الزعيم لونين بسبب العوامل الداخلية لا غير فانها ذات قوة فعالة على انه ليس في استطاعة احد ان يتكهن بطول المدة التي تقضيها روسيا بعيدة عن دولاب الحركة الاقتصادية الاروبية وذلك مما يوجب الاسف لان انفصالها عن اوروبا اثر تاثيرا شديدا على الحياة الغربية بل على حياة العالم اجمع حتى صار من

(١) معرب من مجلة العالم الجديد

المستحيل التغاضي عن المشكلة الروسية ولو في هذا الوقت الذي انكسرت فيه شوكة المذهب البلشفيكي بكيفية لم تبق اوروبا معها مهددة

ماذا كان نصيب روسيا قبل الحرب في تموين اوروبا من المواد الاولية والماكولات؟ هذا ما اجاب عنه قلم الامور الاقتصادية الروسي بباريس بنشر احصائيات ومعلومات كشفت الغطاء عن هذه المسالة المهمة ـ بلغت صادرات الروسيا في العام الاخير قبل الحرب ٤٠٤٣ مليونا من الفرنكات جلها من المواد الاولية والماكولات والانعام الحية بحيث ان الثلثين من هذه الصادرات كانا منحصرين في الفصول الاتية : الحبوب ٥٠٦ ملايين من الروبل . والخشب على اختلاف انواعه ١٦٥ مليونا ـ والكتان ١١٧ ـ والبيض ٩١ ـ والسمن والجبن ٧٤ ـ والجلد ٥٤ ـ وزيوت الغاز ٥٠ كما وقع تقدير معدل صادرات الحبوب وحدها من عام ١٩٠٨ بملايين ١١ طرناطه في السنة

انحطت هذه الصادرات منذ اعلان الحرب الى درجة لا تذكر اذ لم يخرج من مرسى اركانجال إلّا شيء قليل جدا من البضايع ولهذا حصلت رجة كبرى في الحالة الاقتصادية العامة وبسبب نقصان هذه الصادرات وقع في ابتداء الامر انخفاض فاحش في كمية الحبوب المعروضة للبيع بالاسواق الامر الذي دعى الى وجوب استهلاك مواد الاكل بغاية الاقتصاد واذا استمر هذا النقصان فان الامر يوشك ان يصير مخيفا لان الولايات المتحدة التي اصبحت اكبر تاجر في الحبوب اخذت تقلل صادراتها شيئا فشيئا بسبب ازدياد الحركة العملية فيها وتكاثر سكانها لدرجة يمكن معها توقع ايقاف الصادرات تماما في وقت قريب وتصير

الولايات المتحدة محتاجة لشراء القمح بعد ان كانت معروفة ببيعه ان فقدان الحبوب الروسية كان سببا في ارتفاع الاسعار لا لقلة الحبوب فقط ولكن لان روسيا كان لها تاثير في تعديل الاسواق اذ بينما اسعار الولايات المتحدة كانت دائما مدرجة الى الارتفاع كانت اسعار البضائع الروسية جانحة دائما الى الانخفاض

اما فقدان الخشب الروسي فقد اضر باوروبا كثيرا وسبب لها خسائر محسوسة لان الكمية التي كانت تصدرها الروسيا في سنة ١٩١٣ تساوي سبعة وثلاثين في المائة من مجموع ما كان يباع في اسواق العالم من الخشب بقطع النظر عن نتائج فانلاندة ولهذا حاولت التزود باكثر مما قبل الحرب من الممالك الشمالية باوروبا ومن الكانادة والولايات المتحدة إلَّا ان الحاجيات الناشئة عن الاهتمام بتجديد بناء الجهات التي خربتها الحرب كشمال فرنسا الذي يلزم لتجديده من الخشب ما يقرب من ١٠ مليارات زيادة عن ما يتوقع من اتساع اشغال البناء الموقوفة منذ سنة ١٩١٤ اصبحت عظيمة جدا بحيث ان الغابات السكندينافية والاميريكانية ستكون فيما يظهر غير كافية لتعويض ما كانت توردة الروسيا من الخشب وتشييد البناءات الضرورية

اما ما يتعلق بالكتان فان الحالة اعكر لان الروسيا كانت تعطي لاوروبا من ٧٠ الى ٧٥ في المائة مما تحتاج اليه معامل نسج الاقمشة الكتانية ولم تكن لغير البلجيك وهولاندة صادرات معتبرة في خصوص الكتان بالنسبة لروسيا غير ان محصولات هذين البلادين مما ذكر لم تكن تتجاوز الثلث من نتائج روسيا ويمكن ان يقال ان

ايقاف الصادرات الروسية قد احدث ازمة شديدة في عالم صناعة الكتان حتى تضاعفت اسعارها الى ست وسبع مرات ـ ولا تزال الازمة تشتد بالرغم من تقليل الشغل في جميع المعامل حتى في انكلترا نفسها مع ما بذلته من المجهودات الكبرى للتحصيل على مراقبة كتان ليتوانيا حتى ان معامل بلفاست التي انحطت مصنوعاتها الى ٥٢٠٠٠ طرناطه في عام ١٩١٧ قد نزلت معمولاتها الى ٥٦٨٨ طرناطة في سنة ١٩١٩

كما حصل تاثير سيء على حياة اوروبا الاقتصادية من اجل انقطاع روسيا عن امداد هذه القارة بغير تلك المواد كالسمن والبيض اذ كانت روسيا تصدر في عام ١٩١٣ ٧٨٠٨٢ طرناطة من السمن و ٣٥٧٢ مليونا من البيض وكانت اوروبا تستهلك جانبا مهما من البيض الروسي على الخصوص بحيث ان النقصان الناشيء عن فقدان تلك البضاعة بسوق لندرة كان عظيما فان مجموع الواردات من عام ١٩١٣ الى ١٩١٩ انحط هناك بالرغم عن جلب كمية ذات بال من بلاد الكاندة تتراوح من ٢١٥٠٠٠٠ مائة الى ٥٦٤٤٠٠٠ مائة وكان لهذه البضاعة الكثيرة الاستهلاك نظرا لرخص ثمنها تاثير فعال على اسعار الاسواق الاوروبية حتى ان بعض الممالك التي تبيع البيض للخارج كفرنسا مثلا كانت تتزود من البيض الروسي

***

اتضح للقاري مما قرر ولو اننا اقتصرنا على تعداد بعض الفصول فقط . اتساع الفراغ الذي حصل في تموين اوروبا من اجل انعزال روسيا عنها انعزالا كليا واذا نظرنا الان للحالة بفرنسا على الخصوص

يتمثل لنا هذا الفراغ بصورة محسوسة لا سيما اذا ناظرنا بين مجموع الصادرات الروسية وبين جملة ما كانت تشتريه فرنسا منها فان الاحصائيات الاقتصادية تفيد ان نصيب روسيا كان يساوي ٢٢«٩٣ في المائة من الكتان و٩٣ من الخشب المستعمل لصنع الكبريت (الوقيد) و٦١ الى ٨١ من الاخشاب السمغية و٤٢ الى ٥٨ من الخشب المنشور و٢٨ الى ٥٤ من النخالة و٢٠ الى ٦١ من جلود الضان و٥٢ من معدن المانقانيز و٣٠ الى ٤٨ من زيوت البترول الثقيلة و٣٣ من ملف الحرير الخام و٣٥ الى ٤٥ من النورتو و٤٣ من البيض و٢٢ الى ٤٧ من القصيبه و١٥ من القمح و٢٥ من القطران النباتي و٨٥»٣٠ من عقد شجر السرو الخ على ان كثيرا من الواردات الاجنبية المنسوبة في احصائيات القمارق لالمانيا او لبلجيكا كانت في الحقيقة روسية

فاضمحلال سوق هذه اهميتها دفعة واحدة كان من اكبر العوامل في تزعزع الحالة الاقتصادية في العالم والغالب على الظن ان هذه الازمة ستدوم زمنا طويلا ولو بعد سقوط ادارة لونين لان عود الامور الى ما كانت عليه قبل يتوقف على تجديد ادوات العمل هناك واصلاح كافة السكك الحديدية التي آلت الى حالة يستحيل معها نقل البضايع في الزمن الحاضر

نبذ تاريخية

الانقلابات السياسية التي طرات على الدولة العثمانية

٢

دور الدفاع

ابتدا القرن الحادي عشر وحدود السلطنة ممتدة من جزيرة الكرم وجوف بلاد المجر شمالا وصحراء افريقيا وبحر الهند جنوبا وجبال قوقاسيه وبلاد الفرس شرقا ومملكة مراكش غربا وبها من السكان ستون مليونا ثلثهم تقريبا مسيحيون. وقد ظهر عليها من اواخر القرن العاشر علامات التقهقر والانحطاط فوقفت على قدم الدفاع بعد ان قضت ثلاثة قرون في الهجوم والفتوحات.

اما اسباب التقهقر فمتنوعة نذكر منها الاهم

اولا – ان دعائم القوة العثمانية كانت مقامة على جنودها وبالخصوص على صنف الانكشارية الذين كانوا احسن جيوش عصرهم ترتيبا وحمية ونظاما وكانت الدولة تتحرى في اختيار روسائهم ممن اشتهروا بالتقوى والبسالة والحزم ومعرفة فنون الحرب المناسبة لذلك الزمان وتاخذ افراد العساكر اما من انجاد المسلمين واما من فتيان رعاياها المسيحيين بعد ان تربيهم تربية اسلامية ثم تزج بهم في الجيش. وفوق الجميع سلطان يقودهم بنفسه الى حيث النصر والمغانم بحيث كانوا يعتبرون الجيش كعائلة كبرى رئيسها السلطان فكانوا يستميتون في الدفاع عن شرف الجيش وسطوة السلطان. والامم التي كانوا يحاربونها لم تكن

اقل منهم حمية ولا شجاعة ولكنها كانت اقل معرفة ونظاما فلا غرو ان كان النصر حليف العساكر العثمانية ثلاثة قرون متوالية . لكن الجند قوة مادية لا تكفي لحياة الدول إلّا اذا اقترنت بالقوة المعنوية وهي قوة العلم . اذ لا جند إلّا بمال ولا مال إلّا بثروة عمومية ولا ثروة إلّا بعلم والمراد بالعلم ما لا سعادة للامم بدونه كالرياضيات والطبيعيات والزراعة والتجارة وحسن الادارة وغيرها من العلوم العمرانية . وقد كانت أوروبا في تلك العصور خالية من هذه العلوم وكانت الدولة العثمانية ارقى منها نسبيا سيما في الفنون الحربية . وفي خلال القرن العاشر للهجرة حصلت انقلابات كبرى باوروبا وادرك الافرنج ان العلم نوعان علم ملي وعلم عمومي فالاول ما يختص بكل ملة وكل جنس كعلوم اللغة والدين التي لا بد منها لحفظ الحياة القومية اما العلوم العمومية فهي ما كانت شركة بين كافة البشر كالرياضيات وما يتبعها من العلوم العمرانية المشار اليها . وما ادركه الافرنج كان المسلمون قد ادركوه قبلهم فاقبلوا بجد واجتهاد على العلوم الدينية والعمرانية معا ودامت هذه الحركة الفكرية الى القرن السابع ثم تناقصت تدريجا لما اصيب الاسلام بالحروب التتارية شرقا والاسبانيولية غربا فضلا عن الفتن والانقلابات الداخلية ثم انطفت جذوة ذلك النور تماما في القرن العاشر ولم يبق لدى المسلمين إلّا ما تركه السلف الصالح من العلوم . وقد قلنا ان الافرنج ادركوا اثناء القرن المذكور فوائد العلوم العقلية العمرانية فحصلت نهضة فكرية كبرى باوروبا واقيمت المدارس واقبل الناس على العلم بجميع انواعه واستعانوا على ذلك بما

ترجموه من الكتب العربية وما درسوه اثناء تلك النهضة من كتب الاقدمين من اليونان وغيرهم فانقشعت عن اوروبا غياهب الجهل ولم تزل افكار الافرنج تترقى في مدارج العلوم الى ان بلغوا الى حيز الاستنباط والاختراع وانتهوا الى المدنية الباهرة المشاهدة لهذا العهد

وخلاصة القول ان العلوم العمرانية افل نجمها في القرن العاشر بالبلاد الاسلامية واشرق بالممالك الافرنجية ففقد الاسلام قوته المعنوية التي هي اساس القوة المادية وجرى عكس ذلك لدى الافرنج وابتدا الاسلام في الانحطاط واخذت اوروبا في الارتقاء فكان ما تقتضيه طبيعة الكون وهو تغلب العلم على الجهل والقوة على الضعف

ومما زاد الافرنج قوة وسلطانا اقبالهم على الفنون الحربية والنظامات العسكرية بعد ان كانوا عنها معرضين ذلك انه ظهر في القرن العاشر مذهب البروتستانت واعتنقه ملوك وسكان بعض الممالك الافرنجية - انكلترا - وهولانده - والسويد - والدنمارك وبعض جهات المانيا - وبما ان هذا المذهب يخالف الكثلكة في بعض الاصول ويرفض سلطة البابا الروحية وكان اذذاك لهذا الرئيس الديني سلطة كبرى على النفوس فقد اثار عواطف الكاتوليك وامر ملوكهم بقطع جرثومة هذا المذهب الجديد وقامت باوروبا حرب دينية بين البروتستانت والكاتوليك دامت عشرات من السنين وكان كل من الشقين عاملا على غلبة عدوه وقهره واعتنى الجانبان بدرس الفنون الحربية التي لا فوز بدونها فاخترعوا اسلحة جديده واتخذوا العساكر النظامية بدل الجموع الهمجية التي كانوا يستنفرونها عند الحاجة واتبعوا في تعبية جنودهم

وترتيبها سنن القدماء من الروم واليونان بعد ان نقحوها وهذبوها بما يلائم اسلحة العصر ونبغ من بينهم قواد حربيون كان يشار اليهم بالبنان فلما وضعت تلك الحروب اوزارها وانقضى عصر الضغائن الدينية حل محلها التنافس السياسي بين الدول فحافظت كل دولة على جنودها وازدادت عناية بتنظيمها وانشات المدارس الحربية لتعليم رؤساء وقواد العساكر ولم تزل الفنون والنظامات الحربية باوروبا في ارتقاء الى ان اصبحت عبارة عن معسكر عظيم سياجه النار والحديد

ثانيا – كان العثمانيون معجبين بنظامهم العتيق محتقرين لتلك التراتيب الجديدة ولم يكفهم ذلك الجمود بل افسدوا نظامهم الذي كان دعامة سطوتهم فصاروا من اوائل القرن الحادي عشر لا يتحرون في انتقاء عساكرهم واصبح جند الانكشارية على الخصوص عبارة عن لفيف من الفلتاء ومن لا حرفة له . اما الرؤساء فبعد ان كانوا ينتخبون بالاستحقاق من ذوي الشهامة والمعرفة والحمية والبسالة صاروا يتقدمون لقيادة الجيوش بالدسائس والرشوة ومحبة النساء من الاسرة السلطانية فكان لحسن الوجه وجمال العينين حظ كبير في احراز الوظائف الكبرى عسكرية او سياسية. فكم من طهاة اصبحوا وزراء لمجرد كونهم اصهار السلطان وكم من خدمة بالقصور والبساتين السلطانية صاروا قادة للجيوش لنفس السبب المذكور فاذا اضفت الى ذلك تقاعس غالب السلاطين عن قيادة العسكر واخلادهم للراحة واللذات ادركت السبب في زوال الشهامة من الجيش العثماني وعلمت كيف صار الانكشارية آفة على الدولة وعلى الامة يستنزفون اموال الدولة بصفة عطايا سلطانية

كلما ارتقى سلطان جديد ويخلعون السلاطين وربما يقتلون منهم من لم يرق في اعينهم ويكثرون من الثورة والعصيان لادنى سبب فيفتكون برؤسائهم وينسابون في المدينة يسلبون وينهبون

تلك الحالة التي كانت عليها الدولة العثمانية في بداية القرن الحادي عشر ومع ذلك فقد استمرت على عظمتها اثناء القرن المذكور وامكنها الدفاع عن حوزة ممالكها وربما تجاوزت حدودها بالهجوم والفتح والفضل في ذلك لشهامة السلطان مراد الرابع الذي جدد نظام الدولة ثم لرجال مصلحين من آل كوبرلي توارثوا الصدارة نحو نصف قرن فاصلحوا المختل وقطعوا دابر الخائنين وصادف ذلك اشتغال اوروبا بالحروب التى اثارها لويز الرابع عشر ملك فرنسا وموالات فرنسا للدولة العثمانية سياسيا فى حروبها مع النمسا وانزواء الروسيا التي لم يكن لها اذ ذاك شان بين الدول ـ فتدبر هذه الاسباب واحفظها لتفهم مجرى الحوادث اثناء القرن الحادي عشر وما بعده

تولى مراد الثالث (سنة ٩٨١) فكان اول اعماله الفتك باخوته بدعوى الاحتياط من الفتن التي تثيرها المزاحمة في الملك وقد جرى على هذه السنة بعض السلاطين الى اوائل القرن الثالث عشر ـ وعلى عهد هذا السلطان عظم نفوذ النساء وتداخلهن في شئون الدولة وعلى عهده كانت الحرب مع الفرس واستولت عساكر الدولة على تبريز

ثم تولى محمد الثالث (سنة ١٠٠٥) كان له تسعة عشر اخا فقتلهم جميعا وكثر على عهده عصيان العساكر وتهاونهم بالدولة والسلطان وظهرت فتن في الولايات واستمرت تلك الحالة على عهد احمد الاول

ومصطفى الاول وعثمان الثاني وكان هذا الاخير شابا لم يبلغ العشرين من عمره وحاول ان يتخذ باسيا جندا جديدا يتوصل به الى ابطال الينكشارية فهجم عليه هؤلاء العتاة البغاة واخرجوه من قصره معذبا مهانا ثم قتلوه بعد ثلاثة اشهر من ولايته (سنة ١٠٢٧) وبايعوا مصطفى الاول مرة ثانية بعد ان كانوا خلعوه لاختبال في عقله — وقد نتج عن هذه الفوضى اولا — استيلاء الفرس على الكرج واريوان والبصرة وبغداد ثانيا — جنوح الممالك العثمانية بافريقيا الى الاستقلال الداخلي فتاسس بها شبه جمهوريات عسكرية تنتخب روساءها وهم الدايات ولم يكن للدولة إلَّا التصديق على تلك الانتخابات وكلما ازدادت الدولة ضعفا ازداد استقلال الولايات رسوخا وهكذا ظهرت دولة الدايات بالجزائر والبايات بتونس وطرابلس والمماليك بمصر وكادت تنحصر الرابطة في الخطبة وموافقة السلطان على ولاية الامير — تلك الحالة التى كانت عليها الدولة لما ارتقى مراد الرابع الى عرش السلطنة (سنة ١٠٣٢) وكان شابا شهما حازما استشار يوما احد وزرائه فقال يا مولاي لا دواء لما نحن فيه سوى السيف فشمر السلطان عن ساعد الجد ووضع السيف في رقاب المرتشين والمفسدين من ارباب الوظائف العلمية والسياسية والعسكرية فخضعت له النفوس وتمكنت هيبته من القلوب. وقاد الجيش بنفسه لحرب الفرس فهزمهم واسترجع بغداد والعراق ثم غزى اللهستان (بولونيا) فكان الفوز حليف رايته والتفت الى الداخل فاخضع الثوار واستقامت له الامور حتى خيل للناس انه جدد دولة سليمان القانوني بالرغم عما كان في طبعه من القساوة والميل الى سفك

الدماء، ولكنه لم يلبث ان هلك بتخمة في التاسعة والعشرين من عمره (سنة ١٠٥٠). واستمرت هذه العظمة على عهد خلفه السلطان ابراهيم فغزى جزيرة كريت وفتح بعض معاقلها (سنة ١٠٥٥) وكانت تابعة لجمهورية البنادقة

ثم تولى محمد الرابع (سنة ١٠٥٨) وتالبت عليه النمسا والبنادقة واستولت الاولى على بوده وجانب من المجر وبلغراد واستولت الثانية على المورة ودلماسيا وكانت اساطيلها تتهدد الاستانة وعاد الينكشارية الى تمردهم في الداخل وتوالت عليهم الهزائم في الخارج وكان السلطان حديث السن عاجزا عن تدبير الملك فالهم الله والدته الى القاء مقاليد الدولة بيد رجل شهير في التاريخ العثماني وهو محمد كوبرلي (سنة ١٠٦٦) وكان هذا الرجل الباني الاصل نشا بمدينة (كويرو) من مقدونية وكان في بداية امره طباخا في القصر السلطاني لكنه كان على غاية من النباهة والحزم فتولى بعض الوظائف عن استحقاق. منها ولاية دمشق اظهر في اثنائها من الاستقامة وحسن الادارة ما جعله مرموقا بالانظار ولما حلت المصائب بالدولة استدعته والدة السلطان محمد الرابع وعرضت عليه الصدارة ولما الحت اشترط الاستبداد بالامر واستلام خاتم الملك فقبل السلطان شروطه وتسلم مقاليد الدولة في تلك الظروف الحرجة ففتك ببعض المفسدين من ارباب المناصب واطرد من الجيش كل من لم تتوفر فيه شروط الحمية والبسالة واعتنى بتحسين الادارة فتوفرت لديه الاموال وحسنت الاحوال واذ ذاك اعلن الحرب على النمسا واسترجع ما استولت عليه وكذلك فعل مع البنادقة ولما مات هذا

الوزير الشهير خلفه في الصدارة ابنه احمد فانهزم في حرب النمسا ولكنه اتم فتح جزيرة كريت (سنة ١٠٧٩) واستولى على غاليسيا من بلاد النمسا ـ ثم تولى الصدارة قاره مصطفى ولم يكن كفؤا لهذا المنصب فاعلن الحرب على النمسا وسار في جيش جرار ووضع الحصار على مدينة فيينا وهو الحصار الثاني ولو بادر بالهجوم لتم له الفتح ولكنه تثاقل فوردت نجدة من بولونيا تحت قيادة ملكها (صوفيسكي) ففكت حصار المدينة واضطر العثمانيون الى التقهقر (سنة ١٠٩٤) ثم خلع الانكشارية هذا السلطان وبايعوا سليمان الثالث فدامت ولايته اربع سنين افتكت له النمسا في اثنائها غالب بلاد المجر ثم استرجعها على يد الصدر مصطفى كوبرلي ثم بويع احمد الثاني فاستمر على حرب النمسا واستشهد الصدر كوبرلي في احدى الوقائع وعلى عهده انهزم النمساويون ورفعوا الحصار عن بلغراد واستولى البنادقة على جزيرة ساقس

ثم تولى مصطفى الثاني فباشر الامور بنفسه وقمع ثورة الانكشارية ثم اعلن الحرب على النمسا والبنادقة فهزمهم فى وقائع عديدة كما انتصرت عساكره على بطرس الاكبر قيصر الروسيا واجلته عن مدينة (ازاق) بالكرم ثم تولى رئاسة عساكر النمسا البرنس اوجين وهو امير اصله من صافويا خرج من فرنسا مغاضبا للملك لويز الرابع عشر وانخرط في سلك العسكرية النمساوية وكان ذا براعة تامة في فنون الحرب ففي سنة ١١٠٨ عادت الحرب ضد النمسا فانهزمت عساكر الدولة العلية هزيمة كبرى في (زنته) فكانت الوقعة المشومة التي اضطرت الدولة بعد عامين الى امضاء معاهدة (كارلويتش) وخرج

عنها نهائيا ترنسلفانيا والمجر بعد ان دامت بها السلطة العثمانية نحو مائة وتسعين عاما وبالمعاهدة المذكورة ابتدا دور التقهقر من اوروبا

المآثر الخالدة

تسنى لمسلمي افريقية اوائل القرن الثالث للهجرة ان يستولوا على غالب جزائر البحر المتوسط الغربية كصقلية - ومالطة - وقوصرة - المسماة بنطلارية الان - وغير ذلك

وما كاد الجيش الفاتح يتم اعماله الحربية حتى استعمر سكان الساحل التونسي تلك الجزائر نقلوا اليها طرق تمدينهم وعوائدهم واخلاقهم ولسانهم العربي

دام مقام الافريقيين بتلك المستعمرات الى اواسط القرن السابع [1] ولم تزل للدولة العربية هنالك اثار مشاهدة وبقايا خالدة تدل على قوة سلطانهم وتمكن عمرانهم في الامم والبلاد الخاضعة لحكمهم . فهذا الشعب المالطي المسيحي النحلة ما زال يتكلم بلهجة عربية الماخذ والاصل وان طرات عليها طوارق الدخيل والتحريف [2] وهذه اللهجة الصقلية القوصرية تشتمل على المئين من الالفاظ العربية علاوة على ما احتوته الجزيرتان من المعالم القائمة الذات [3] والعوائد الاسلامية المنتحلة

---

(١) - راجع تاريخ ابن خلدون ج ا ص ٤٠٩ طبع الجزائر

(٢) - راجع الواسطة في اخبار مالطة ص ٥٦ - وصفوة الاعتبار لبيرم الخامس

(٣) - انظر تفصيل ذلك بتاريخ صقلية على عهد المسلمين للمؤلف (باللغة الفرنساوية)

***

الزائرون من ابناء تونس لمالطة يعدون بالالوف وقل منهم من بحث عن آثار اجداده بها ولو تنبه من دخل منهم متحفها لشاهد من بين محفوظاته لوحا رخاميا مخطوطا بالقلم الكوفي المزهر يبهج الناظرين عبرة وتذكارا

ساقني القدر للاطلاع على ذلك اللوح الجميل المعثور عليه (بالمدينة) عاصمة جزيرة مالطة في الدور الاسلامي قبل ان تنتقل الى (لاقليطا) تختها الحالي . وهذا ما قرات عليه [1] (باطراف اللوح)

يا من راى القبر اني قد بليت به * والترب غير [2] اجفاني وآماقي
في مضجعي ومقامي في البلا عبر * وفي نشوري اذا ما جئت [3] خلاقي
انظر بعينيك [4] هل في الارض من باقي
أو دافع الموت أو للموت من راقي
الموت اخرجني قسرا فيا أسفي * لم تنجني [5] منه ابوابي واغلاقي [6]
وصرت رهنا بما قدمت من عمل * محصى علي وما خلفته [7] باقي

(وفي وسط محراب اللوح الاسطر الاتية) :

« بسم الله الرحمن الرحيم » وصلى الله على النبي محمد وعلى آله

(١) - أنبه القاري ان المرحوم احمد فارس الشدياق كان قرأ قبلي هذه الرخامة ونشر صورتها وترجمتها في المجلة الاسوية الفرنساوية سنة ١٨٤٧ ص ٤٣٧ . بيد انه أورد بعض الالفاظ على غير معناها فيما اعتقد ولذلك نصصت على اختلاف الروايتين هنا - (٢) غبر بدل غير - (٣) اذا ما خط عوض اذا ما جئت - (٤) بقلبك بدل بعينيك - (٥) ينجني عوض تنجني - (٦) ايواني واعلاقي عوض أبوابي واغلاقي - (٧) وما من خلقه بدل وما خلفته .

وسلم تسليما » لله العزة والبقاء . وعلى خلقه كتب الفنا . ولكم في رسول الله اسوة حسنة . هذا قبر ميمونة بنت حسان بن علي الهذلي وغد ابن السوسي (١) . توفيت رحمة الله عليها يوم الخميس السادس عشر من شهر شعبان الكائن من سنة تسع وستين وخمسمائة . وهي تشهد ان لااله إلّا الله وحده لاشريك له .

فانت ترى هذه المهاجرة الافريقية كيف تتأوه على فقدان عز مسكنها المزخرف بمالطة وكيف تتحسر مما يؤول اليه جمالها الزاهر لما يضم القبر عليها جوانبه المظلمة ويملأ ترابه عينيها الدعجاء

لكن لتطمئن روح تلك الانسة الطاهرة فان تذكارها لا يضمحل ابدا ما دام ذلك اللوح الباهر محفوظا باحترام . فهو لعمري دعامة من دعائم السيادة العربية المذكورة في تلك الجزيرة !

ما مات من كان حيا ذكره ابدا * وفي الدفاتر قد تتلى صنائعه

ح . ح . عبد الوهاب

(١) الوغد هو النائب أو ناظر الاملاك . والسوسي نسبة الى مدينة سوسة بالساحل التونسي . ولا يخفى انه من دار صناعة هذه المدينة خرج الاسطول الافريقي مدة الاغالبة لفتح جزائر صقلية (سنة ٢١٢) وقوصرة ومالطة (سنة ٢٥٥)

خالدة هانم

اول امراة تقلدت منصب الوزارة

لئن حق للشرقيين ان يفاخروا اهل الغرب بمن نبغ من رجالهم فاحق بهم واولى ان يفاخروهم بنبوغ نسائهم . ففي الشرق اليوم امراة نابغة جمعت من السجايا والمواهب ما قلما يتفق للنوابغ رجالا كانوا او نساء — وهي خالدة هانم التركية التي نالت بين ابناء جلدتها بفضل جراتها وصدق عزيمتها وتوقد وطنيتها مقاما هو غاية ما يصبو اليه الانسان بين قومه . وهي اليوم ركن من اركان الحركة الوطنية في تركيا وقد اسندت اليها وزارة المعارف في الحكومة التركية التي انشاها الوطنيون في الاناضول ولم نسمع باسناد منصب رفيع كهذا لامراة قبلها

ولا يزال السوريون عموما والبيروتيون خصوصا يتحدثون باعجاب عن تلك المراة التركية الجريئة التي قدمت الى بلادهم اثناء الحرب الاخيرة بمهمة فتح المدارس وانشاء الملاجيء للايتام والفقراء . فقد كانت خالدة هانم تسير مع زميلاتها في شوارع بيروت سافرة الوجه وعلامات العمل والنشاط بادية عليها ولم يكن للبيروتيين عهد بتلك الجراة والحرية في المراة المسلمة فاصبحت مدار حديث الاهالي وموضوع اعجابهم وقدوة لكثيرات من اخواتها المسلمات . وقد فتحت خالدة هانم ابواب المدارس الفرنسوية المقفلة وجعلتها مدارس

اهلية وطنية شعارها الاتحـاد والوئام ونبذ فكرة التعصب . وكذلك انشات الملاجيء للايتام والفقراء

***

ولدت خالدة هانم من والدين متوسطي الحال. وكان والدها سكرتيرا في دائرة الخزنة السلطانية الخـاصة . وقد بدت على خـالدة هانم منذ اول حداثتها بوادر الذكاء والفطنة وكانت تظهر رغبة في المطـالعة وميلا للتبحر في العلوم والاداب . ولم يكن يوذن للبنات الوطنيات في ذلك العهد بدخول المدارس الاجنبية ولم تكن المدارس الوطنية لتفي بالحاجة . فتوسل والدها الى السلطان عبد الحميد ان ياذن لابنته بدخول الكلية الاميركية في الاستانة فاذن لها فدخلتها ولم يمض زمن على ذلك حتى برزت على اقرانها وتخرجت سنة ١٩٠١ بلقب باكالوريوس علوم وهي في الغالب اول امراة مسلمة نالت هذا اللقب

قلنا ان خالدة هانم برعت في جميع العلوم إلّا ان الهندسة كانت حجر عثرة في سبيل تقدمها . فاحضر لها والدها استاذا خاصا من اساتـذة الجامعة السلطانية ليلقنها في المنزل ما اشكل عليها فهمه من هذا العلم فلم يلبث بعد زمن ان علق بها فخطبها من والدها ثم اقترن بها عن رضاها وهي لا تعلم ان لزوجها امراة واولادا في باريس . على انها لم تكن لتجد خلاصا لها من تلك الحالة فاضطرت الى ملازمة خدرها . فكانت تصرف الايام والليالي في مطـالعة ما حوته مكتبة زوجها من التاليف النفيسة ولا سيما الفرنسية منها فكان لما طالعته تاثير شديد في نفسها الكبيرة فلم تزدها هذه المعيشة الهادئة إلّا رغبة في العـمل واتساعا

في المطامع . ولم تلبث ان سنحت لها الفرصة اذ طلقت زوجها واصبحت حرة في تكريس حياتها للجد والعمل . وكان ذلك قبيل اعلان الدستور في تركيا

فلما اعلن الدستور واطلقت الحرية للافكار والمطبوعات نشرت خالدة هانم قصيدة حماسية تخاطب فيها رجال الفرقة الرابعة (وهي التي تم على يدها قلب الحكومة الاستبدادية) بلسان مؤسس الدولة العثمانية . فكان لقصيدتها وقع عظيم في النفوس فعرفها الناس وانتشر اسمها بين الجميع ثم جعلت تنشر في الصحف روايات اجتماعية كانت قد الفتها في زمن تقييد المطبوعات فصار الناس يطالعون كتاباتها بلهفة وشوق ولكنها لم تقتصر على ذلك بل جعلت تنشر في «طنين» مقالات اجتماعية سياسية فاشتهرت بسداد الراي واعتدال اللهجة . وكانت خالدة هانم تجتمع دائما برجال تركيا الفتاة ولاسيما انور وطلعت وجمال فتبدي لهم رايها في شئون الدولة وهم لا يستنكفون من الاصغاء اليها والعمل بآرائها . ولما قلب عبد الحميد الحكومة الدستورية سنة ١٩٠٩ ورد اسمها في قائمة المحكوم عليهم بالاعدام فاضطرت الى الفرار حرصا على حياتها فشخصت الى القطر المصري ومكثت فيه الى ان استعاد الاتحاديون سلطتهم

وقد تغير مركز المرأة في تركيا بعد اعلان الدستور تغيرا عظيما . فاصبحت ترفع صوتها الضعيف على المنابر وتسعى لرفع شانها بانشاء الاندية والجمعيات الى غير ذلك من دلائل النهوض ومعظم الفضل فيما تم من هذا القبيل عائد الى خالدة هانم . وقد تدرجت المراة التركية

في سلم الرقي حتى اصبحت تعنى بالشئون الوطنية و المسائل السياسية . ولما نشبت الحرب البلقانية انخرطت كثيرات من النساء في سلك جمعية الهلال الاحمر وجعلن يكتبن ويخطبن و يحرضن على الجهاد في سبيل الوطن . وقد احتشد منهن يوما عدد غفير يربو على خمسة الاف في دار الجامعة السلطانية فوقفت خالدة هانم تخطب فيهن بحماس عظيم فكان لكلامها اشد وقع في نفوس السامعات . ولما فرغت من خطابها كان العرق يتصبب من جبينها من شدة التاثر و الانفعال . فنزعت مصاغتها الثمينة والقت بها في صندوق امامها لاعانة الوطن فاقتدت بها سائر النساء وجعلن الواحدة بعد الاخرى يقدمن حليهن لهذه الغاية الشريفة

(الهلال - جزء ١ شهر اكتوبر)



تمجيد الامم لابطالها

وقفنا في جريدة الاهرام الغراء على وصف احتفال لجنة الوفد المصري المركزية بتابين فقيد الوطنية المرحوم محمد بك فريد [١] رئيس الحزب الوطني في دار « احمد باشا الباسل » فاحببنا ان نقتطف منها لقراء الفجر هذه الكلمات التي تمثل الوطنية وسمو الشعور وترينا نموذجا من ابطال الشرق ومقدار شعور اممه بمزاياهم : ـ قال رئيس الحفلة مرقس بك حنا من خطبة « افتتح هذه الحفلة باسم الله جل جلاله وباسم الوطن المفدى . افتتحها وقد اجتمعنا اليوم لنحي ذكرى رجل كريم ومصري عظيم لا تغيب ذكراه في الواقع ولا تغيب اعماله الجليلة عن واحد منا . اشتهر الرجل بصلابته في الوطنية وتفانيه في محبة بلاده وتضحية كل ما يملك من وقت ومال بل وصحة من اجل خدمتها واعلاء شانها ـ تتجلى هذه الصفات كلها في جميع ادوار حياته بلا استثناء ولا انقطاع فقد عرفته موظفا وعرفته محاميا وعرفته سياسيا وفي كل هذه

(١) مات ذلك الرئيس العظيم في نوفانبر ١٩١٩ ببرلين عن ٥٢ سنة ونقلت جثته بعد الى مصر وطنه العزيز فاحتفلت بها الامة كما يحتفل بالابطال المحررين . وقد كنا قرانا ترجمته في جريدة وادي النيل الغراء بقلم علي فهمي بك كامل وكيل الحزب الوطني ومما لانزال نذكره منها بمزيد الاعجاب والتمجيد ويستحق ان يكون لنا احسن قدوة في طريقنا « ان الفقيد ادار جريدة ١ اللواء ٢ والعالم الاسلامي ٣ ولتندار الفرنسية ٤ ودي ستندر بعد مصطفى كامل احسن اداره ـ وانه كان يقضي ١٨ ساعة على الاقل في خدمة الحزب الوطني من الاربع والعشرين ساعة ـ وتبرع بمكتبة تحوي نحو ٤٠٠٠ آلاف مجلد على نادي المدارس العليا ـ وانفق على كثيرين من ابناء جلدته لتعليمهم بكليات اوربا ـ وغاب في سبيل الجهاد لمصلحة وطنه ثمان سنوات لم ير فيها اهله واولاده حتى مات رضي الله عنه »

الادوار لم تفارقه عزيمته مرة ولم تخنه شجاعته لحظة رغم الاضطهاد الذي عاناه والضيق الذي كابده لا لشيء سوى اخلاصه وتفانيه في محبة وطنه وبلاده. فلما وقعت الحوادث الاخيرة ودقت ساعة العمل وحان وقت المدافعة وعرضت المسالة المصرية على بساط البحث من جديد مد يده بلا تردد ولا توان ليد الرجل الذي نادى باعلى صوته بحقوق بلاده المقدسة في اوروبا وفي مصر وامام العالم باسره رغم الاحكام العرفية والاضطهادات المتوالية وتصافح البطلان المصريان سعد زغلول باشا ومحمد فريد بك تحت ضل العلم المصري وبذل كل من جهته منتهى المجهود لخدمة مصر وقضيتها . نعم وضع فريد بك يده في يد الوفد المصري وعملا معا كل من ناحيته بقلب واحد وضمير واحد على انالة بلادهم الحرية والاستقلال التام

واني انتهز هذه الفرصة لارجو الامة المصرية الكريمة وكل فرد من افرادها ان يعضدوا تلك الفكرة السامية التي نادى بها الحزب الوطني تخليدا لذكرى فقيدنا الذي نحتفل اليوم بذكراه وهي اقامة مستشفى للعمال فان العمل في ذاته جميل جدير بالعناية وفيه فكرة اسمى هي الاعتراف بجميل المجاهدين »

وقال امين الرافعي بك المحامي من خطبة « ان صفات الفقيد السياسية كانت قائمة على دعائم : الاخلاص والصراحة وقوة الارادة والتضحية اربع صفات لم نشاهدها مجتمعة في كثير من عظماء التاريخ ولكن الله جمعها في فريد فتجلت وطنيته الصحيحة في احسن مظاهرها

اما صحيفة الفقيد في منفاه فقد سطرت فيها كلمة « التضحية »

باحرف من نور وفي خلال هذا العهد بلغت نفسه مكانة يغبطه عليها كبار ابطال العالم فقد صبر على الالام طويـلا وانكر ذاته ولم يفكر في راحته ولا في صحته ولا في حياته وتحمل جميع المتاعب على اختلافها دون ان يشكو بل كان يستعذب الالام في سبيل الوطن

كان الفقيد يستعذب الالم لاعتقاده ان الانسان لا يكفيه ان يقوم بواجبه الوطني بل يجب عليه ان يثبت انه جدير بهذا الواجب وهذا الاثبات لا يكون إلّا بتحمل الالام بغير مضض كان يستعذب الالم حتى اذا رآه اخوانه على هذه الصورة لم يفكروا في الشكوى بـل ينسون انهم يتالمون

كان يستعذب الالم . لانه ما كان يملك لنفسه حيـاة ولا موتا . وانما الذي يملكه ان يوقف مجهوداته على خدمة امته . وان يتالم عسى ان يكون في المه بلسم لجراح الوطن وتخفيف لمصائب مواطنيه

كان يستعذب الالم لاعتقاده ان الالام تنير للقلوب طريق الحقيقة التي تغيب عن الانسان اذا كان سعيدا . ولم يعرف كيف يتالم

كان يستعذب الالم لاعتقاده ان الالام هي التي تتسلط على النفوس فتجعلها كبيرة . ولان في النفوس مكانا رفيعا ترقد فيه الحياة . والالم وحده هو الذي يستطيع ان يبلغ هذا المكان

فهنيئا لهذه النفس الكبيرة . والروح الطاهرة . ومجدا وفخارا لذلك القلب الذي لم ينبض إلّا باسم الوطن وحريته

واذا كانت مصر لم تسمح لها الظروف بتمجيد بطلها في حياته فانها اليوم تمجد اعماله ومباديه وسياتي يوم قريب يكون فيه التمجيد

اعظم شانا عند ما تنقل جثة الفقيد الى مصر و تدخلها بعد دخول الحرية ويومئذ ترفرف روحه فوق الرؤوس فرحة بتحقيق آمالها . اما الآن فانها تتمثل بكلمة منفي فرنسا المأثورة التي قال فيها « لقد قطعت عهدا على نفسي . و امام ضميري . بان اشارك الحرية منفاها الى النهاية فاذا عادت عدت معها »

هذا لسان حال الفقيد ، اما نحن فنستعير من « فيكتور ايقو » كلمات اخرى قالها يوم ان مات زميل له في المنفى . وانها لجديرة بان توجه الى فقيد مصر كما وجهت من قبل الى فقيد فرنسا الذي لفظ النفس الاخير وهو بعيد عن اهله ووطنه و اصدقائه قال :

« في اليوم الثالث من شهر ديسامبر سنة ١٨٥٢ اقمنا متاريس للدفاع عن انفسنا فهاجمتها القوة العسكرية وظنت انها تستطيع تدميرها . ولكنها كانت مخدوعة . فانها ما كادت تهدمها في باريس حتى اعيد بناؤها في المنفى . وما شدت بناؤها في هذه المرة بالاحجار و البلاط وانما بنيت بالمبادي . وقد بناها المنفيون بانقاض العدل و الحرية . وفوق اطلال الحق . فكان البناء شامخا وعظيما . وهو لا يزال من ذلك العهد قائما في وجه الامبراطورية . يسد عليها المستقبل . و يحجب عنها الافق . وانه لبناء عال كالحقيقة . ومتين كالشرف . وقوي كالحق . ولا يزال المنفيون يموتون فيه

وها نحن اولاء امام جثة سادسة . اختطف الموت صاحبها اليوم . فدعوني امجد هذا الرجل الكريم . فقد كان مجاهدا وصبورا . وكان يضرب به المثل في شدة الاخلاص . وبالرغم عن شغفه الشديد ببلاده

و تعلقه بالعودة اليها . فقد رفض العفو الذي كان يخوله الرجوع الى فرنسا . و بقي هنا ليكون موته آية من آيات تمكن العقيدة في النفوس

لقد اراد ان يصر على الاحتجاج الى النهاية . و اثر ان يبقى منفيا حبا في وطنه . و كانت آلام فرنسا تقبض صدره فيتالم لاجلها . وقد استمر نفيه وغضبه تسعة عشر عاما . وها هو الان نائم

كلا - فان الميت لا ينام . وانما يستيقظ بعد رقدته . وللموت اثران في النفس . فهو يفقد الانسان حواسه . ثم يبعثه بعد ذلك . ونفخة الموت تطفي سراج الحياة . ثم تشعله . ونحن نرى العينين اللتين تغمضهما . ولكننا لا نرى العينين اللتين تفتحهما

فوداعا ايها الصديق القديم

انك ستحيى الحياة الحقيقية . و تجد امامك العدل و الحقيقة . و الاخاء . انك ذاهب الى عالم المفكرين والشهداء و الابطال وانصار الحرية و الانبياء

انك ذاهب لمشاهدة اصحاب هذه القلوب الكبيرة . وهم في الصورة المضيئة التي اصبحوا عليها بعد موتهم

فقل لهم كل شيء عنا

قل لهم ان القانون يستخدم لخنق الحرية

قل لهم ان الشعب لا يملك حق التكلم

قل لهم ان حرية الفكر محرمة

قل لهم ان العدل قدمات

قل لهم ان البلاد ترسف في القيود و الاغلال

ومع ذلك فلا خطر على الوطن . لان الامة متحدة متضامنة . وهي تجاهد داخل البلاد . بينما نحن الضحايا لا نزال نقاوم في الخارج . وقد صممنا تصميما اكيدا على ان لا نسلم مطلقا »

هذه كلمة « فيكتور ايقو » على قبر صديقه . وقد كانت عهدا منه ومن زملائه امام جثة الراحل عنهم بان لا يحيدوا عن خطتهم التي رسموها لانفسهم فبروا بالعهد وما هي إلَّا اعوام قلائل حتى عادت الجمهورية الى فرنسا فعادوا الى اوطانهم

فلنجدد اليوم عهدا على انفسنا امام الله . وامام ضمائرنا بان نحتفظ بمبادئنا ونستمر في جهادنا السلمي المشروع حتى ترد لنا حريتنا المقدسة « واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا »

وقال منصور افندي فهمي الموفد من قبل الحزب الديمقراطي من خطبه :
« ان واجب الوطنيين ان يظهروا اساهم لموت الرجل الذي ترك الوظائف واشتغل بالمهنة الحرة في الوقت الذي كان امثاله من ابناء الاعيان لا يستمرئون طعم الكسب من وراء المهنة الحرة . لم يكن محمد فريد ديمقراطيا بسلوكه فحسب بل كان ديمقراطيا بعلمه ونظره ايضا لانه اتصل في آخر ايامه بالاشتراكيين والديمقراطيين فقدرهم وقدر مبادئهم وبادلهم الود واستنجد بهم في نصر حقوق امته

الا فليكن فريد اسوة صالحة في الاخلاص والثبات والتضحية وليكن عبرة للمترددين والذين في قلوبهم مرض وليعلموا ان اجماع الامة على اكرام ذكراه دليل على ان المخلص لوطنه لا يعدم من بني وطنه الجزاء الاوفى وان مات غريبا فقيرا

حوادث الشهر

اسفر طالع الشهر عن انعقاد الهدنة بين بولونيا وحكومة السوفيات عقب تلك المقاتلات الدموية الهائلة بعد ان كادت الجيوش الحمراء تفتح فرزوفيا عاصمة بولونيا فابتعد بذلك الخطر الذي كان يتهدد اوروبا الشرقية ابتعادا موقتا وتوجهت جميع قوات الروسيا البلشفيكية الى الجنوب لمقاومة حركات الجنرال فرانجيل واشياعه التي اخذت في التوسع الى درجة صارت حكومة موسكو تخشى امتدادها وربما كان هذا التخوف السبب الداعي للتساهل في قبول بعض الشروط البلونية ولذا نرى انظار السياسيين وقادة الحكومات تحولت نحو درس المسائل المالية و الاقتصادية التي اكتسبت من الاهمية بسبب تاثيرات الحرب الماضية ما جعلها في المقام الاول بين عموم الممالك وصارت كافة النوادي تنتظر بفروغ صبر ما يقرره مندوبو الامم للموتمر الذي انعقد ببروكسيل لكن جاءت الحوادث بخلاف ما كان يؤمله القوم من اعمال هذا الاجتماع وخابت الامال فيه فقد ختمت جلساته بدون وجود علاج صالح للخروج من الازمة الحالة بالعالم والتي اصبحت اوروبا تتخبط فيها فان المطلع للجرائد الاوروبية على اختلاف انواعها بعيد غلق الموتمر المذكور يشاهد فيها من التحسر واليائس ما يجعله في دهشة كبرى واليك ايها القاري نبذا مما كتبه ليون بوليبي المحرر المالي الاختصاصي بمجلة اوروبا الجديدة بعددها الصادر في ١٠ اكتوبر المنصرم

« ذهب المندوبون الى بروكسيل ليحاولوا تسوية الاختلال المالي

الكبير الذي اصاب العالم وذلك لانهم فهموا بعد مضي ثمانية عشر أو عشرين شهرا على صلح مكدر ملؤه الخيبة والالام ان التوازن الاقتصادي بين الامم اضطرب بصورة شديدة ومخطرة من امرين عظيمين كثيري الارتباط ببعضهما وهما تكوين ديون خارجية مهولة وسقوط التبادل المالي لاوراق غالب دول اوروبا القديمة حيث ان كلا منهما يتوقف اصلاحه على الاخر ضرورة انه يلزم لتسديد الديون العمل وايجاد البضائع وتجديد ما تخرب من البلاد غير ان اقتناء المواد الاولية والالات الميكانيكية اللازمة لذلك يجد ما يمنعه من سقوط التبادل المالي الذاهب دائما في الازدياد وليس في استطاعة اي دولة بانفرادها حل هذا المشكل لانه يلزم ان يحل محل الوطنية الخاصة عزم متحد على السعي في ايجاد توازن اقتصادي جديد للعالم وهذا يتوقف على وضع برنامج عام وهو ما كان صرح به في لائحة امستردام ولاجله استدعت نقابة عصبة الامم مندوبي الحكومات الى بروكسيل فلبوا الدعوة ولاكن ماذا صنعوا ؟

لا شيء

حيث لم تظهر ادنى فكرة مشتركة بين الامم وكيف تظهر ولا اثر لوجدان يجعل المصلحة العامة فوق المصلحة القومية الخاصة كان يحمله فرد من مندوبي تلك الحكومات عدى ما ابدياه مندوبا الجمهوريتين الفضية ولوريقاي بامير كا فانهما قالا بشهامة ان الوقت حان لان تضحى الامم الغنية شيئا من ثروتها لانجاد الامم التي افقرتها الحرب ولم تقل صاحبة المال الوفير امير كا الشمالية شيئا ولا يظهر من اولئك الذين

خطبوا كثيرا في سبيل التعاون بين الامم إلّا امور لا يفهم منها إلّا احتراز مريب يؤيد الاعتقاد بانهم في الحقيقة ليسوا خاضعين للواجبات الحالية وهذا هو الذي دعى المتحاربين بالامس والحائدين الى التخوف من ذهاب ارباح الحرب في اضطراب امور الصلح ٠»

ولئن اسفر هذا الشهر عن الهدنة بتخوم اوروبا الشرقية إلّا انه قد انجلى ايضا على قلاقل اجتماعية ومشاكل قومية بغربي اوروبا لم يسبق لها نظير واعني بذلك ما حصل اخيرا بايطاليا ثم بانكلترا من تعاقب الاعتصابات وتفاقم طلبات العملة الى درجة اضطرت له حكومة ايطاليا ان تقبل بمراقبة العمال على المصانع خوفا من اشياع الحركة الثورية التي ظهرت بها وقد رضيت العمال بهذا الامر لاكن يظهر ان رضاهم لم يكن إلّا تحفزا ليعيدوا الكرة من جديد وهو ما دعى بعض الكتاب السياسيين بايطاليا الى الانتقاد على سلوك السنيور جيوليتي لانهم يرون في تساهله هذا تنشيطا للمتطرفين على الوصول الى منتهى رغائبهم المشطة واضطرت له حكومة انكلترا ان تفتح باب التخاطب بينها وبين ممثلي العملة والسعي وراء ارضائهم على الرجوع الى اعمالهم بقبول بعض من المطالب التي يطلبونها لعلمها ان اماني القوم وغاياتهم لا تدخل تحت حصر فهي انما ترمى لشيء واحد كما حكته الطان في عددها المؤرخ في اكتوبر ١٢ الماضي حيث قالت ما نصه

«ان الاعتصاب امسى في ايدي احزاب نظامها ثوري بحت حمته سياسية تدعى انها دمقراطية سلاحا سياسيا مطلقا يستعمله قادة العملة لتحقيق

انتصار اقليات نشيطة دابها العمل لذلك الانقلاب العام الذي جعله البلشفيك الروسي في مقدمة برنامج مساعيه »

ولا نستغرب اذا راينا بعض السياسيين يتهم الوزير الاكبر الانكليزي باظهار الضعف تجاه هذه الحركات الشبيهة بالثورية والتي تحاكي من جميع الجهات الحالة التي ابتدا بها الانقلات الروسي وإلَّا كيف يرضى بتشكيل ما يسمونه مجلس العمل الذي هو عبارة عن صورة جديدة للسوفيات تناسب اوروبا الغربية تستمد تعليماتها من موسكو وتعمل اعمالها بطريقة ثورية ضد حكومة البلاد الرسمية وان كان الوزير المذكور صرح اخيرا في بعض خطبه بانه يرى اذا تمكنت اقلية من تعطيل سير مجتمع بحرمانه من الامور الضرورية للحياة فان ذلك ينتهي بختم دور الحكومة الديمقراطية حيث ان الامر ابتدا كذا بالروسيا والظاهر انه عدل عن التساهل واخذ في تسوية المسالة بطريقة اخرى وان بقية رجال السياسة الذين اعتادوا الانصياع لاجابة طلب العملة يسمعون هذه الكلمات ويعملون بها ولا يدري الانسان والحالة هذه اي الطريقتين انجح واسلم

***

وفي خلال هذا الشهر ابتدا ينجلي بالشرق ما اخفى سير السياسة هناك من مدة تزيد على الثمانية عشر شهرا وذلك بسقوط وزارة الدماد فريد باشا وولاية توفيق باشا مكانه فان الاول كان يرى تبعا للسياسة الانكليزية الاعراض التام عن التقرب من الوطنيين وبالاحرى الاتحاديين بل مناواتهم والايقاع بهم حتى ادى به الامر الى اضمحلال نفوذ الحكومة

بغالب بلاد السلطنة و انحصار سلطتها في منطقة دار السعادة وضواحيها و تعطل بسبب ذلك تنفيذ شروط الصلح مع المتحزبين ووقف دولاب الحركة الاقتصادية وغيرها بالبلاد قاطبة بما احتارت له افكار نبهاء السياسيين ممن يهمهم الامر وعلى خلاف هذا كان راي الوزير الثاني حسبما تبين ذلك من الاسباب التي دعت الى تقليده زمام الوزارة العثمانية فان من اقواها الحملة القلمية التى اثارها الكاتب السياسي علي كمال باي في جريدة « بيام صباح » في انتقاد اعمال حكومة الدماد والتحريض على ان لا نجاح للخروج من هذا المضيق إلّا بفتح باب التفاهم مع الوطنيين و الاتفاق معهم على سلوك سياسة واحدة يقبلها جمهور العثمانيين الى غير ذلك مما هذا سبيله وهو ولئن لاقى معارضة عنيفة من بعض المتطرفين من كتبة حزب الائتلاف إلّا انه يظهر ان الاغلبية اخيرا كانت من جانبه فقد انظم لارائه هذه حتى نواب الدول المتحزبة فانهم ذهبوا لمقابلة السلطان نفسه و اشاروا عليه بالسعي في التقرب من اشياع كمال باشا ولذا فقد اشيع ان الوزارة العثمانية الان اخذت تبحث عن طريقة مثلى يمكنها بها التوفيق بين شروط الصلح ومطالب المليين وهذا الامر و ان كان فيه من الصعوبة ما فيه إلّا اننا نؤمل حصول ما فيه النجاح

مسلم

LE GÉRANT ALI BEN MOKTAR KAHIA